مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

ISSN: 1112-9751

عنوان المقال:

الأغنية الشعبية الثورية الأوراسية مصدرا شفاهيا مكملا لأحداث الثورة التحريرية 1954-1962

د. غيلاني السبتي، جامعة باتنة - 1، الجزائر

الأغنية الشعبية الثورية الأوراسية مصدرا شفاهيا مكملا لأحداث الثورة التحريرية 1954-1962

د. غيلاني السبتي

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بإحدى المصادر التاريخية لتدوين أحداث الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962 ألا وهي الأغنية الشعبية التي تعتبر مصدرا شفاهيا مكملا لهذه الأحداث ،حيث لعبت الأغنية الشعبية دورا لايستهان به في تأجيج أحاسيس الشعب الجزائري من خلال دغدغة عواطفهم الدينية والوطنية بالالتحاق بمعاقل الثورة كمجاهدين في سبيل الله والوطن أو الوقوف إلى جانب الثورة التحريرية بدعمها بالمؤونة والأسلحة الخفيفة كبنادق الصيد،وقد عبرت الأغنية الشعبية في الأوراس عن معاناة الشعب الجزائري من طرف الاحتلال الفرنسي، ووصفت الأسلحة الفتاكة التي كان الاحتلال الفرنسي يستعملها ضد الشعب ووصفت كذلك معاناة الشعب من التعذيب في المعتقلات والسجون،كما وصفت هذه الأغاني الشعبية بشاعة وفضاعة سياسة الاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري من خلال مصادرة أراضيه وتجويعه وتشريده وتمكين طبقة المستوطنين الأوروبيين الذين استقدمتهم السلطات الفرنسية من الهيمنة على الاقتصاد الجزائري،كل ذلك تطرقت إليه الأغنية الشعبية لتكون بذلك مصدرا شفاهيا مهما مكملا لتاريخ الثورة التحريرية.

الكلمات المفتاحية: الثورة التحريرية، الأغنية الشعبية، مصدرا شفاهيا، الأوراس، الاحتلال الفرنسي.

Abstract:

This study aims to identify one of the historical sources that audit events of Algerian editorial revolution,1954-1962 which is folk song, that is a source completing these events, folk song played an important role to inflame the feeling of Algerian people through tickling their religious and national emotions to join revolution as mujahedeen for the sake of God and homeland or to stand by the editorial revolution with supporting it by rations and light weapons like hunt guns, folk song in Aures expressed Algerian people suffering from French colonization and described deadly guns that French colonization was using in front of Algerian people, besides it described people suffering from torture in prisons and detention centers , as well as describing ugliness and abomination French colonization policy against the Algerian people through the confiscation of lands and starving and dispersing him. And enable European settlers who French authorities brought to dominate the Algerian economy.

All of that was touched by the folk song to be with that an important orally source completing editorial revolution history.

Key words: Folk song, revolution, orally source, French colonization, history, Auras.

مقدمة:

اختلف الباحثون في تأريخ نشأة القصيدة الشعرية الشعبية فهناك من يقول أن وجودها في الجزائر كان قبل الفتح الإسلامي وهناك من يقول أنها ظهرت في الجزائر مع الفتح الإسلامي.

أما آلبرت قيمي فيقول: "أن الشعر كان موجودا دائما" [1] ، ومعنى ذلك أن منبت القصيدة الشعرية الشعبية في الجزائر ضارب في الجذور العميقة للتاريخ، وقد أطلقت عليها الكتابات التي تناولت القصيدة الشعبية عدة تسميات منها: "الزجل"، "الملحون" "الشعبية"، وأكثر هذه المصطلحات شيوعا عندنا هو "الشعبي" الذي هو إبداع شفوي ونمط من أنماط الثقافة الشعبية الذي ظهر منذ القديم في أقطار المغرب العربي [2]. وارتبط الشعر الشعبي بشكل بارز بالأغنية بمختلف أشكالها وأنواعها، ويطلق هذا النوع من الشعر على كل كلام منظوم من بيئة شعبية بلهجة عامية، تضمنت نصوص التعبير عن وجدان الشعب وأمانيه، ومتوارث جيل عن جيل عن طريق المشافهة، لكن الشعراء هجروه، بسبب تعارضه مع مبادئ الشريعة الإسلامية، التي حاربت العصبية القبلية، والغزل المفرط، وهذا الاحتمال كان سببا في انقراض النصوص الشعرية الشعبية، التي لم يعد الرواة يحفظونها أيضا. [3]

وقد عاد الشعر الشعبي من جديد، في كل من المغرب الأقصى والجزائر على وجه الخصوص، بسبب الهجرة الأندلسية، التي أثرت في الشعر الشعبي [4].

وقد تأثر أيضا هذا النوع من الشعر، بالنضال والكفاح المسلح في الجزائر منذ احتلالها من طرف الاحتلال الفرنسي حيث وظف الشاعر والراوي هذا النمط الثقافي الشعبي لخدمة أهداف المقاومة والثورة التحريرية وإيقاظ ضمائر الجماهير الشعبية وتجنيدها للدفاع عن القضية الوطنية، ووقف الشاعر والمغني الشعبي بالكلمة والبندقية إلى جانب الثورة، وسايرها عبر مختلف مراحلها، منذ بداية الاحتلال الفرنسي سنة 1830 إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية ثم مرحلة الاستقلال، وكان أكثر حضورا من أي شكل أدبي آخر نظرا للطبيعة الشعبية لهذه الثورات. [5]

ومن هذا المنطلق ونظرا لمكانة القصيدة الشعبية أثناء الثورة التحريرية والدور الذي لعبته هذه القصيدة في رص صفوف الشعب الجزائري والتفافه حول الثورة التحريرية ،أصبحت اليوم هذه القصيدة التي تناولها الكثير من النقاد والكتاب مصدرا شفويا مكملا لكتابة أحداث الثورة ؛ارتأيت أن أساهم بالبحث في هذا الموضوع الموسوم بـ: **الأغنية الشعبية الثورية الأوراسية مصدرا شفاهيا مكملا لأحداث الثورة**

محاولا الإجابة على سؤال رئيسي وهو :**ما هو الدور الذي لعبته هذه الأغنية الشعبية أثناء الثورة التحريرية؟ وهل وظفت هذه الأغاني في جمع التراث الشفوي وجعله في متناول الباحثين والمهتمين بكتابة تاريخ الثورة التحريرية؟**

وينبثق عن السؤال الرئيسي مجموعة من الأسئلة الفرعية والتي نجيب عناه خلال مشوار هذا البحث وهي كالتالي

1- ما هي الأغنية الشعبية

2- طرق تأديتها

3 – الأحداث التي تناولتها الأغنية الشعبية في الأوراس

4- نماذج من الأغنية الشعبية في الأوراس

- تعريف الأغنية الشعبية في الأوراس

الأغنية الشعبية في الأوراس يؤديها الرجال والنساء على السواء. أحيانا تعتمد على الصوت فقط، وأحيانا أخرى على آلة الناي التي تساعد على استثارة المشاعر

والأحاسيس، وغالبا ما تكون مواضيعها مستمدة من معاناة الشعب .[6]وقد تنوعت وتعددت مضامين الأغنية الأوراسية، فارتبطت بالواقع الاجتماعي، ورصدت أفراح وأحزان الشعب وطقوسه واعتقاداته، وأهم ما ميز مساره الحضاري، فأفرزت بذلك أغاني ثورية تتغنى ببطولات قادة الثورة والمجاهدين والمعارك التي قادوها ضد الاحتلال الفرنسي، ففازت هذه الأغنية بحصة الأسد من هذا الموروث الغنائي . حيث مازال الشعب يرددها في مناسباته المختلفة إلى يومنا هذا [7]

التسميات المختلفة للأغنية الشعبية الثورية في الأوراس.

الحقيقة أن الأغنية الشعبية شاعت عنها العديد من التسميات المختلفة بين فئات المجتمع المختلفة، منها الأغنية الفولكلورية، الأغنية الشعبية، الأغنية الأوراسية، الأغنية القبائلية، الأغنية الوهرانية، الأغنية الدينية، ...الخ.

ويعود هذا الاختلاف، إلى عدم دراسة الأغاني، وعدم الاتفاق على مصطلح، يحدد معالم الفن، بحيث يواكب المصطلح المضمون.. فالأغنية الثورية في منطقة الأوراس، التي انتشرت في أوساط اجتماعية عرفت (بالفلكلور)، الذي يطلق على ألوان مختلفة منها ما يحمله الشعب أو يبدعه من ثقافة في حياته. [8]

فجاءت الأغنية الشعبية الثورية في جوهرها، كتعبير فني عن وجدان الناس عامة، فهي تقدم تصورا وثيقا لحياتهم الاجتماعية وقيمهم الثقافية والأخلاقية، وبالرجوع إلى مفرداتها، وطريقة تنظيمها، وأدائها، والموضوعات التي تنطوي تحت لوائها. [09] نجد أن المغني الشعبي يرصد محيطه رصدا عميقا، ثم ينتقي أهم ما يقدسه الناس ويجلب اهتمامهم، فيضمنه جوهر الأغنية بما فيها من ألفاظ قوية ودلالات عميقة فالفن الشعبي بما فيه الأغنية الشعبية، ليس مجرد رواسب ثقافية وبقايا لا قيمة لها، وإنما هو حكمة من حكم التاريخ، وثمرة حياة الإنسان في المجتمع، ورمز لأصالة هذه الحياة. [10]

وقد وجّهت الأغاني الشعبية الناس بمختلف فئاتهم، إلى الجهاد في سبيل الله، فصورت وعظمت المجاهدين الأبطال . وشتمت الخائنين للوطن والشعب، ولعنت الفرنسيين بقادتهم وجنودهم وآلات جرائمهم الشاهدة على وحشيتهم [11]

الأحداث التي تناولتها الأغنية الشعبية في الأوراس

حتى نتمكن من رصد الأحداث التي صورتها الأغنية الثورية في الأوراس، فقد صنفنا هذه الأغاني حسب أحداثها إلى ثلاث تصنيفات أساسية هي: "شخصيات"، "معارك واشتباكات"، "أمكنة وأحداث وموضوعات متفرقة".

1. أصناف الأغاني الشعبية:

أ. الشخصيات الثورية في الأغاني الشعبية:

لقد تناولت الأغاني الشعبية في الأوراس، شخصيات هامة سواء قبل اندلاع الثورة أو بعدها، وخلدت بالكلمة واللحن تاريخ الأبطال، فتغنى الناس عن بطولات المقاومين الجزائريين أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر وتغنى أيضا عن بطولات المجاهدين في الثورة التحريرية، أمثال: مصطفى بن بولعيد، أحمد بن بلة، الحاج لخضر، قرين بلقاسم، وغيرهم ممن تصدوا للاحتلال الفرنسي وقد احتل مصطفى بن بولعيد، النصيب الأوفر من الأغنية الثورية، باعتباره من أبرز قادة الثورة التحريرية في الأوراس. [12]

لقد وصفت الأغنية الشعبية في الأوراس مصطفى بن بولعيد، وصفا يليق بمكانته البارزة في المنطقة، باعتباره قائد المنطقة الأولى أوراس النمامشة، حتى أنها وصفت طريقة كلامه وقدرته في إقناع الشعب بآرائه الحكيمة السديدة. [13]

وقد تناولت أيضا الأغنية الشعبية شخصية قرين بلقاسم، بعبارات تلهب المشاعر، بما عُرف عنه من بطولات أذهلت سلطات الاحتلال الفرنسي وقد وصفته بالبطل الأسطورة ولم ينس النص الغنائي الحاج لخضر ؛الذي تولى قيادة الولاية الأولى بعد استشهاد مصطفى بن بولعيد، فقد خصه المغني الشعبي بأغاني رائعة جسدت عظمة شخصيته وافتخر به وارهب به الجنرال ديغول محذرا إياه من بطش الرجل وقوته فنصحه بالاستسلام وعدم المقاومة. (14)

وقد تغنى المغني الشعبي أيضا، بشخصيات بارزة في الأوراس مثل: عمار دريدي البطل الملقب "بالقايد"، لِما عُرف عنه من حسن قيادة وتسيير وخاصة في المواقف الحرجة في قيادته للعمليات الفدائية ضد مراكز العدو،حيث قاد عدة معارك وكان النصر حليفه ولما استطاع الهروب من قبضة سلطات الاحتلال بعد أن قبضت عليه هذه الأخيرة ، فرصدت أخته عائشة دريدي الحدث وغنت عن أخيها بعد ما سمعت خبر نجاته. (15)

وقد كان لمغني الأغنية الشعبية في الأوراس ، دورا لا يستهان به في تغيير أحداث الثورة التحريرية ومجارياتها مما جعله عرضة للملاحقات البوليسية الفرنسية ونتيجة لذلك التحق الكثير منهم بمعاقل الثورة بجبال الأوراس.

ب. المعارك والاشتباكات في الأغاني الشعبية في الأوراس:

استطاعت الأغنية الشعبية في الأوراس أن تحتوي المكان والزمان في آن واحد من خلال مواكبتها لمختلف أحداث الثورة ورصد أهم معاركها؛ فعبرت أحسن تعبير عن ألم الشعب الذي ضاقت به السبل فأيقن أنه لا مفر من قدر محتوم يقلب الموازين ويستعيد الشعب سيادته على أراضيه. (16)

والمعارك التي رددتها الأغاني الشعبية الأوراسية كثيرة منها: المحلية والوطنية وهي أغاني تعكس بحق مدى الوعي الذي وصل إليه سكان الأوراس في تلك الفترة ونذكر من المعارك مايلي:

1 معركة بني سويك (16 افريل 1961م): من الصور الحية التي نجحت الأغنية الشعبية الثورية في نقلها ببراعة:هجوم مفاجئ لقوات الاحتلال الفرنسي على أحد مواقع المجاهدين بنواحي بني سويك بالمكان المسمى "الواد لقطح"، جراء استنطاق سلطات الاحتلال لأحد المسبلين، فقام القائد "أحمد زرواق" بمهاجمة الجنود الفرنسيين، فتحولت العملية إلى معركة كبيرة؛ شاركت فيها الطائرات، حيث تواصلت المعركة بين الطرفين لمدة يومين اثنين وقد اهتدى الجنود الفرنسيين إلى طريقة عسكرية تكتيكية ترغم فيها أفراد الشعب على السير أمامهم لاتخاذهم دروعا بشرية لإرغام المجاهدين على الاستسلام واستعملت القوات الفرنسية الغازات السامة وتمكنت من القبض على القائد أحمد زرواق، إلا أنه استطاع الفرار بمساعدة سكان القرية.

وقد حركت هذه المعركة وجدان السكان وأججت فيهم روح الوطنية والنضال؛ خاصة بعدما قامت سلطات الاحتلال العسكرية بجريمتها الشنيعة بحرق المجاهدين الذين ألقي عليهم القبض في هذه المعركة. (17) وقد نقل المغني الشعبي مشاهد مروعة عن معركة إيقلفن بآريس؛ التي خاضها المجاهدون ضد الجنود الفرنسيين في جبل بني فرح (عين زعطوط) وعند وصولهم في المكان المسمى (قلفن) اشتبكوا مع العدو وكانوا تحت قيادة العريف الأول شليحي علي واستشهد فيها الجميع.

2 معركة ديار الشكالة (18 سبتمبر 1961م): لقد خاطبت الأغنية الشعبية سلطات الاحتلال العسكرية منها والمدنية بخطابات جريئة وشجاعة مذكرة إياها بقذارة حربها ضد الجزائر واغتصابها لأراضي الشعب الجزائري ونذكر على سبيل المثال ليس الحصر مايلي:

فرانسا لغدارة وغدرت بالطيارة

سي الحسين رافد لبياسة ويحارب في الكفارة (18)

وفي رواية أخرى:

يـــــــا الطيارة بيكي بيكي يا نسوة ورجال خرجت تبكي

يا جيش التحرير طل وجبي نحـــــي الغيظ مـــــن قلبـــي (19)

3 معركة حمر خدو بمشونش (1960م):

آ معركة حمر خدو بمشونش والرافال واش يحـــــدو

مات احميدة بـــــن المصم مات يحارب على دينو (20)

صورت الأغنية الشعبية منطقة لحمر خدو أرضا للمعارك ومعقلا للثوار، التي لا تخمد فيها النيران وصوت الرصاص يظل مدويا ينشد بطولة الأبطال وبسالة الشجعان الذين يوحدهم الدين قبل الوطنية. (21)

4 معركة الجبل الأزرق: يعد الجبل الأزرق منطقة إستراتيجية تتمركز فيه قوات جيش التحرير الوطني ونظرا لموقعه الاسترتيجي كما أسلفت وإن قلت أصرت القوات الفرنسية على اختراق المكان ولكن أُحبطت كل محاولات اقتحامه بالفشل.

يا جبل لوراس العالي سبع سنين والنار تقدي

مـا يفك غير العالي غاضونـــــــــي الرجال

ومـــــا بياش المال عـــزمـــــوا للنظـــــال

وحرقـــــوا الجبال

إن المعارك التي لا تنتهي بالجبل الأزرق، جعلت المغني الشعبي يتغنى بالمكان مستحضرا جهود الرجال لدحر عدوان قوات الاحتلال الفرنسي . (22)

ج. أماكن وأحداث وموضوعات متفرقة:

1) **الأماكن:** لقد احتضنت الطبيعة منذ البداية أحاسيس الإنسان وكانت هذه الطبيعة منبعا لتغنيه بجمالها وعظمة الخالق فيها (23)، فتغنى المغني الشعبي بالجبل والوادي و تغنى بالشجر والحجر ولم ينس القرية والمدينة والسجن فكان يخاطب المكان وكأنه كائن يصنع الملاحم والبطولات. (24)

ويعد الجبل الأزرق رمزا خالدا من رموز الثورة الجزائرية التي منحها النص الغنائي مكانة هامة بالثناء عليه لاحتضانه المجاهدين وحمايتهم في أحلك المواقف بعد رعاية الله عز وجل.

الجبـــــل لـــــــــــزرق سكنـــــوه ذراري

حب الرصاص إيشالي على جال الوطني

لقد عاش المجاهدون أياما حالكة في الجبل الأزرق، لكنه سرعان ما دبت فيه الحركة نظير التفاف الشعب حول المجاهدين الأشاوس وتزويدهم بالمئونة اللازمة في جنح الظلام بسواعد المسبلين من أبناء الأوراس الذين حيروا السلطات الفرنسية بقدراتهم في اكتساح المكان. (25)

يـــــــــا جبل لوراس كل شجرة عليها عساس

ولمجاهدين راهم لاباس وفرنسا فـــــــي التعفاس

الله ينصر حزب الثوار

وإلى جانب الجبل الأزرق تغنت الأغنية الشعبية الأوراسية بجبل العرعار وهو ثاني أكبر مراكز

جيش التحرير الوطني في المنطقة، وجاء النص الشعبي كما يلي:

يـــــــا جبل العرعار والموزيط أصفار أصفار

ولبياسة تضرب بالنار الله ينصر حزب الثـــوار

ويعكس هذا النص الصراع الدامي بين المجاهدين والجنود الفرنسيين وأتباعهم من خونة الوطن.

وقد حضرت المدينة بقوة في ثنايا النص الشعبي لحساسية موقفها من الكفاح المسلح وتزويد مجاهدي المنطقة بالسلاح والذخائر العسكرية، فنجده ذكر العديد من المدن خاصة الشرق الجزائري مثل عنابة، عين مليلة، الرويبة وعين التوتة، ...الخ. (26)

وقد نالت تونس الشقيقة حضها من الأغنية الشعبية الوراسية كقول الشاعر الشعبي:

أتونـــــــس القبليـــة شبانك راهـــي منفية

على جالك يا الحرية درابو لخضر يا لجندية

وفي نص آخر:

أتونـــس يا لحنينة داك النيف عليـــــنا

دزي لرايس إيجينا يرحل ديغول يخطينا (27)

فاعتبرت الأغنية الشعبية الدولة التونسية في نصها الغنائي الشعبي أكبر سند للجزائر والجزائريين، الذين حاولت السلطات الفرنسية عزلهم عن إخوانهم التونسيون ببنا سد من الأسلاك الشائكة عبر الحدود التونسية الجزائرية وعلى الرغم من ذلك، بقي دعم تونس فعالا للثورة الجزائرية.

وفي نصوص أخرى:

جينا من عنابـــــــــة واحنا مرضى وغلابـــــة

أسمحيلي يا يما أو بابا هاذ الحرب اللي نادى (28)

2) **الأحداث:**

1-2. **وصف معانات الجزائريين:** لم تقتصر الأغنيـة الثوريـة الشـعبية علـى وصـف المعـارك والأبطال والأمكنة، وإنما وظفت كل ما بوسعها لنقل معاناة الجزائريين إلى أبعد نقطة من العالم وإسماع صوت الحقيقة وعلى الرغم من الضغوطات المفروضة على الشعب إلا أن المغني الشعبي نجح في وصف حالة المجاهدين المزرية نتيجة الحرب المفروضة عليهم ورفض الطرف الفرنسي المحتل مـن الـدخول مـع جبهـة التحريـر الـوطني فـي مفاوضات لإيجاد حلا للقضية الجزائرية وقد تمكن أيضا المغني الشعبي من جلب مساندة الشعب للثورة ماديا ومعنويا بالعزف على وتر حب الوطن، حيث تغنى وقال:

الجندي مسكين ربي زاد عليه

من قـــوة الجهاد شلفطو رجليه

يربح لاستقلال وبروح لمالـــيه

وفي نص آخر قال:

يـــــا خوتي كي جات لبريـــة كاتبها شاف الناحيـــــة

دم الشهداء تبزغ في كل ثنية على جالك يا الوطنية (29)

والمغني الشعبي من خلال الأبيات السالفة الذكر استعرض فيها حجم المعاناة التي حلت بالجزائريين عامة و بسكان الأوراس خاصة إثر استشهاد أبنائهم من المجاهدين والمناضلين والمسبلين في معارك

متقاربة زمنيا جعلت دمائهم الطاهرة شاهدة على عظمتهم في كل شبر من ربوع الجزائر المحتلة.

2-2. **الترغيب في الجهاد:** خاطب المغني الشعبي سكان الأوراس بحثهم وترغيبهم على الجهاد ،حيث ذكرهم بأجدادهم وأسلافهم المقاومين الذين قاوموا بسم الله والدين المحتل الفرنسي باعتباره كافرا احتل بلاد المسلمين فقال:

يا خوتي يا مسلمين بيبان الجنة مفتوحين

لو كان تحاربوا على الدين باش تربحوا الحرية [30]

2-3. **وصف الآلة الحربية:** إن رعب الناس من الآلة الحربية الفرنسية يعكس حجم الدمار الذي تخلفه آلة الموت التي تحصد ملايين الأرواح، فقد وصف الشاعر جبروتها داعيا الناس إلى التحلي بالشجاعة والإقدام قائلا:

ليشار قدام الدار والسلسلة توزن قنطار

لا قدمنا شعلت النار ولا وخرنا هذاك العار [31]

وهنا يصف الشاعر الدبابة (ليشار) والمغزى منه هو إقناع الشعب بالعدول عن مخاوفهم من السياسة الفرنسية التي سلكتها في محاربة الشعب الجزائري الثائر.

وللطائرة الحربية نصيبها الأوفر مما جادت به قريحة الشاعر الشعبي، الذي نقل هلع السكان الممزوج بالعويل والبكاء داعيا الله سبحانه وتعالى إنقاذ الجزائريين من براثن هذه الآلة العمياء.

يا الطيارة بيكي بيكي يا نسوة ورجال خرجت تبكي

يا السيد علي طل وجبي نحي الغيظ من قلبي

وفي صورة أخرى:

بالطيارات بالطيارات فرانسا طارت وتعلات

يا حزني قتلت الشبان والشابات

إن معظم شهداء الأوراس قد حصدت أرواحهم هذه الآلة وأورثت الثكالى والأرامل فكانت في نظرهم أحقر شيء عرفوه في حياتهم. [32]

2-4. **الخونة:** لقد أوردت بعض الأغاني الشعبية الثورية شواذ المجتمع ممن تخلوا عن ضمائرهم ودينهم ووطنيتهم، حيث وصفتهم هذه الأغاني بالخونة ونعتتهم بأسماء مختلفة مثل: القومية، الحركة، الخبثاء. [33]

آ لڤومية آ لذمية آللي تبعثوا المرڤة واللوبية

خلاو الدين والحرية

إن هذه النصوصك كأنها تسجل الأحداث والمآثر، فإنها في نفس الوقت مظهر من مظاهر العبقرية الشعبية في تسجيل تاريخها وأحداثها. [34]

2-5. **الغربة والحنين:** إن حنين المجاهدين إلى أهاليهم وكأنهم مغتربون وهم في عقر دارهم وإن لم يقطعوا البحار والمحيطات وهو ما يطلق عليه بالغربة النفسية يبقى النقطة الأكثر إثارة في الذاكرة الشعبية الغنائية، ،حيث قال المغني في ذلك مايلي:

آ الشافات لكبار أعطيونـــــي ليلة والنهار

خلينا لولاد صغار الكبدة شعلت بالنار (35)

3) **موضوعات متفرقة:**

3-1.**الحقل الثوري:** يتوزع الحقل الثوري من خلال مجموعة واسعة من الألفاظ تشكل بدورها حقولا صغرى داخل المتن الشعري والمتمثل في الأغنية الثورية، حيث شمل هذا الحقل دلالات متنوعة أهمها ما تعلق بالإعلام والاتصال ووصف المعارك والتغني ببطولات الأشخاص والتحريض على مجابهة الاحتلال الفرنسي وذكر لوسائل المجابهة سواءً من جانب المجاهدين أو من جانب سلطات الاحتلال ويتخلل هذا الحقل ألفاظ تحمل دلالات تحيل إلى وجود وعي سياسي ووطني وأثرنا الحديث عنها في هذا الحقل، لأنها تمثل جزءا من حركية الثورة، التي لم تكن مجرد معارك بالسلاح، بل كانت أيضا معارك دينية و سياسية فكرية متعددة المشارب. (36)

ونبدأ أولا برصد ما تعلق بالثورة في جانبها الحربي من وصف للمعارك وذكر لوسائل الحرب، حيث تبرز عديد الأغاني التي تحيلنا مباشرة إلى مرحلة الثورة بكل ما فيها من ألم ومعاناة تكبدها الجزائريون من أجل تحرير الوطن، مثل: ليشار، الرافال- الكماين- الطيارات- القرطاس- حب الرصاص- السلاح- المينا- الكوبتير- الكونفة- ... الخ في إظهار الجو العام للمرحلة التي عبرت عنها الأغاني، فهذه الألفاظ تبرز نوع الأسلحة التي كانت مستخدمة ضد الجزائريين ، فالاحتلال الفرنسي حسب الأغاني يملك أسلحة ثقيلة، أما المجاهدون فلا يملكون إلا بنادق صيد وأسلحة خفيفة وقنابل يدوية وأحصنة ...الخ، وبالرغم من هذا الفرق كان النصر حليف الشعب الجزائري. (37)

وتأسس معجم آخر قائم على مجموعة من الأفعال ذات الدلالات التي تحيلنا إلى عمق المعاناة والألم وشدة المجابهة، مثل: التعفاس- الدم- يتامى- الموت- الهانة- حرقني- شعلت- تفلقت- النار- حرقوك- غدرت- ضحاو يضرب- تبكي، ...الخ. (38)

2-3. **الحقل الديني:** تأسست غالبية الأغاني الشعبية الثورية على محتوى لفظي قائم على كلمات دينية تحمل من المعتقد الإسلامي الكثير، وهي كلمات تلعب دورا مهما في إبراز قيمة الوعي الذي كان سائدا بين سكان الأوراس، وتكشف أيضا طبيعة القيم: التي كانت تؤسس لحياتهم في مختلف ظروفها، حيث تبين لنا من تتبعنا لمجموعة الأغاني الثورية، معجم ديني مميز مكون من ألفاظ كثيرة مثل: الله، ربي، المجاهدين ، الشهداء ،الكفار، الجهاد، ...الخ، وغيرها من الكلمات التي تبرز المكون الثقافي والديني الرئيسي لسكان الأوراس ، حيث استعملت هذه الكلمات في سياقات متعددة، فمثلا لفظة الجلالة (الله، ربي) استعمل على الدوام من أجل الدعاء، أو استدعاء الصبر والتحمل أو بث الحماس مثل: (39)

يـــــــــــا جبل لوراس كل شجرة عليها عساس

والمجاهدين راهم لاباس وفرنســـــــــــا في أتعفاس

الله ينصر حزب الثوار

إن لفظ الجلالة في هذا المقطع يدل على تشبث السكان بإرادة الله سبحانه وتعالى والتوجه إليه دون غيره بالدعاء. (40)

تقول إحدى الأغاني:

يـــــــــــــا خوتي المسلمين بيبان الجنة مفتوحين

يا لو كان تحاربو على الدين باش تربحو الحريـــــة

إن ألفاظ: المسلمين، الجنة، الدين، كلها ألفاظ دينية تؤسس لقيمة الوعي السائد أثناء الثورة، حيث إن محاربة العدو بالنسبة للسكان هو جهاد ذو بعد ديني قبل كل شيء فمجابهة الاحتلال الفرنسي ليس فقط من أجل تحرير الوطن بل نصرٌ للدين الإسلامي. (41)

إضافة إلى الجانب الإيقاعي الذي يعد أساسيا باعتباره مؤسسا للأغاني ومسهما في الحفاظ عليها وسرعة تداولها وانتشارها. (42)

3-3. المعجم اللغوي:

تأسست الأغاني الشعبية، ذات المضامين الثورية في منطقة الأوراس بمعجم لغوي متعدد الحقول نابع من المرحلة التي عاشها السكان وهي مرحلة الثورة التحريرية، كما أنه معجم كاشف عن خصائص البيئة جغرافيا وسياسيا وثقافيا حاملا للوعي السكاني بالظروف المعاشة، لأن الأغاني الشعبية الثورية باعتبارها موروثا شعبيا تعد تعبيرا عن آرائهم ورؤاهم لأحداث تاريخهم. (43)

وكشف المعجم اللغوي للأغاني الشعبية الثورية بالأوراس عن مجموعة من الحقول وهي: الحقل الديني، الحقل الثوري، الحقل الجغرافي، وتشترك الحقول المذكورة في بيان الحالات النفسية والاجتماعية للسكان إبان الثورة التحريرية وحجم التضحيات التي قدموها، كما تبرزها القيم الثابتة التي صنعت بطولاتهم وأثبتت هويتهم في ظل ظروف صنعتها أيدي المحتل. (44)

د: الخصائص الفنية للأغنية الشعبية الأوراسية.

لقد نقلت لنا الأغاني الشعبية ذات المضامين الثورية الواقع الثوري الأوراسي وتأريخ المعارك والبطولات والتعمق فيها يتيح لنا الكشف عن جوانب مثل طبيعة الوعي الذي كان محركا للأحداث ونفسية السكان ومدى إمكانية تأقلمهم مع المتغيرات، لأن اللغة في ماهيتها حقيقة نفسية واجتماعية وتكمن حقيقتها النفسية في كونها قادرة على إبراز وبيان دخيلة الإنسان والتعبير عنها ببعض الكلمات، أما اجتماعيتها فتمثل أساس حقيقتهالأن اللغة لا يمكن لها البقاء دون مجتمع يتداولها ويطورها فهي بذلك اجتماعية من ناحية التداول ومن ناحية كشفها عن خصائص المجتمع أيضا. (45)

إن هاتين الحقيقتين النفسية والاجتماعية هو بيان لنفسية سكان الأوراس إبان الثورة وخصائصهم الاجتماعية بفضل ما تحمله لغة الأغاني والذي يحوي حقولا دلالية متعددة، ولأن الأغاني الشعبية كانت بالفعل سلاحا ووسيلة اتصال، فإنها ذات قيمة التواصلية من منظور تداولي من أجل تأكيد وظيفتها في الواقع بظروفه الصعبة التي لم تكن تمنح للشعب الجزائري سوى الألم لولا فسحة الإيمان التي ظلت تحيي فيه بريق الأمل. (46)

وقد شكلت ألفاظ أخرى تحمل وعيا إعلاميا وسياسيا ووطنيا مثل: حزب الثوار، الحاكم، الزعيم، الجيش الجنود، المسبلين، النظام، وتبرز هذه الكلمات وعيا تنظيميا وإدراكا لقيمة وجود تنظيم ثوري سياسي من جهة ومسلح من جهة ثانية، ونجد أيضا كلمات مثل: الأحرار، الأبطال، الوطن، الوطني، الجزائر، ...الخ، حيث تحيلنا إلى وعي بالانتماء والهوية، التي جعلت الجزائري لا يتوانى في محاربة المحتل، وكلمات تحيل إلى الوعي الإعلامي مثل: البرية ، الاتصالات، ...الخ، ومن خلال هذه الألفاظ ذات البعد الثوري، ندرك أن الأغنية الشعبية كانت ذات قيمة وستظل، لأنها نابعة من الشعب، والشعب هو محرك الأحداث وصانع التاريخ. (47)

إن الأغنية الشعبية لا تملك قوالب فنية وأوزان موسيقية واضحة وثابتة كما يقول محمد عيلان أن الشعراء الشعبيين يخضعون قصائدهم إلى اللحن الذي تغنى عليه القصيدة ويرى أيضا محمد زغب أن النصوص الشفاهية في تشكيل إيقاعها، تعتمد على الصوت والأداء والملفوظات المقوية لعلاقة الاتصال إضافة إلى التكرار والتراكيب التراكمية وغيرها من المظاهر التي تقيم إيقاعها. (48)

إلا أن ذلك لا يمنع من وجود إيقاع داخلي وإن كان غير واضح المعالم لأن بعض المظاهر اللغوية تلعب دورا كبيرا في تأسيس إيقاع الشعر الشعبي، مثل: الحذف والتحقيق والإبدال. (49)

وتبقى الأغنية الشعبية الأوراسية التي تغنى بها الشاعر الشعبي الأوراسي خالدة إلى اليوم ،حيث تغنى بها في الأعراس والمحافل الوطنية وكذلك الدولية مفتخرا ببطولات المجاهدين وتضحيات الشهداء في استعادة الشعب الجزائري لسيادته معززا مكرما على ارضه بفضل هذه التضحيات اليت دحرت المحتل وآلاته الحربية التي استعملها ضد الشعب الأعزل.

خاتمة:

نستنتج من خلال ما سبق أن الأغنية الشعبية بالأوراس في فترة الثورة التحريرية المجيدة، لعبت دورا كبيرا في التأريخ لعديد من الأحداث التي عرفتها هذه الثورة والتغني بالأبطال وأعمالهم، وكانت أرشيفا صادقا ينافس الأقلام والوثاق الأرشيفية التي بقيت مكدسة في مراكز لأرشيف بفرنسا ولقد كانت النساء من أكثر الفئات التي حافظت على هذا الموروث التاريخي من خلال مواصلة الغناء فيه،وقد ساهم هذا الموروث الثقافي في ربط الحاضر بالماضي، وقد أرخت هذه الأغاني ما قدمه قادة الثورة من تضحيات في سبيل تحرير الوطن والتأريخ للمعارك والأحداث، و ساهمت بالتعريف ببعض المجاهدين والشهداء، الذين نسيتهم الذاكرة الشعبية.ولم تكن الأغنية الشعبية يوما وسيلة للترفيه أو إثارة المشاعر والأحاسيس بل كانت مفتاح الصبر وتعزيز روح الجهاد في سبيل تحرير الوطن، ونظرا لأهمية هذا الموروث الثقافي الذي يمكن وبكل قوة أن يكون مصدرا مكملا للوثيقة الأرشيفية لكتابة تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية يجب أن نوليه عناية كبيرة في البحث فيه وخاصة توجيه الطلبة الباحثين في الغوص فيه ولا نستحي منه ولا نستهزئ به بل هو جزء من تراثنا الشعبي، فندعو الباحثين الجزائريين في تاريخ الثورة التحريرية تكثيف جهودهم لإخراج الأغنية الشعبية الأوراسية من طي النسيان وغرسها في نفوس الشباب في جميع المستويات لأن حقا كانت وما زالت تعبر عن معاناة الشعب الجزائري أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر.

ونتوسم أن لن يتخلى الشعب الجزائري في هذه المنطقة عن هذا الموروث لأنه يعتبر بالنسبة إليه جزء لا يتجزأ من هويته الوطنية والإسلامية لأن هذه الأغنية الثورية الشعبية لم تترك شاردة ولا واردة عن مكونات الشعب الجزائري إلا وتغنت بها.

قائمة المصادر والمراجع

[1] فلاديمير (سكوروبوغاتوف):مجلة المجاهد الأسبوعية،العدد 676،الجزائر،ص 39

[2] المرزوقي (محمد): الأدب الشعبي، ط5، الدار التونسية للنشر، 1957م، ص.49.

[3] ابن منظور:لسان العرب،معجم لغوي علوي ،د ت ط- بيروت ،لبنان،د س ط،ص 223

[4] الركيبي (عبد الله): الشعر الديني الجزائري الحديث، ط1، المنشورات الوطنية للكتاب، 1971م، ص.364.

[5] بن الشيخ (التلي): دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، 1830-1945م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983مص، ص.102، 103.

[6] حمزاوي(سعيدة):الأغنية الشعبية في الأوراس الغربي بالوادي الأبيض،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب الشعبي،2009،2008،ص26

[7] بن عاشور (شهر زاد):الأغاني الشعبية وتدعيمها للثورة التحريرية 1954-1962 الأغنية الأوراسية أنموذجا،مذكرة لنيل شهادة الماستر،قسم العلوم الإنسانية،2013-2014،باتنة،ص38

[8] الدمرداش (نادية) و توفيق (علي): مدخل إلى علم الفلكلور .دراسة في الرقص الشعبي،ط1، عبد الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية القاهرة –مصر .2003، ص.65.

[9] خو رشيد(فاروق):الموروث الشعبي،دار الشروق،الجزائر.1992، ص65

[10] الدمرداش،توفيق: مرجع سابق ص 65

[11] دحو (العربي): "مقاربات في الشعر الشعبي العربي في الجزائر"، دار الثقافة العربية- الجزائر .دس ن، ص-ص.18-21.

[12] المرجع نفسه

[13] دحو (العربي): ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية في الولاية التاريخية الأولى بالعربية والأمازيغية، منشورات جائزة الأوراس، باتنة -ديسمبر 2003م، ص.24.

[14] بن عاشور: مرجع سابق ،ص 42

[15] مرجع نفسه

[16] إبراهيم (أنيس): الأصوات اللغوية، ط3، مكتبة أنجلو المصرية - مصر، 1993م، ص.47.

[17] غزالي (فتيحة)،مكسح (دليلة):فعالية الأغنية الشعبية في تحرير أحداث الثورة التحريرية لمنطقة جمورة ،دار علي زيد للطباعة والنشر- بسكرة،2012، ص،ص.103، 104.

[18] مرجع نفسه

[19] مرجع نفسه

[20] مرجع نفسه ص،ص.105، 106.

[21] دحو: ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص.93.

[24] غزالي ، مكسح: المرجع السابق، ص.111.

[25] المرجع نفسه.

[26] **http://www.al3inmoon.com/vb/showthread, 05-10-2013, 15:15.**

[27] جعفر العلاق (علي): في حداثة النص الشعري، ط1، دار الشرق، عمان - الأردن، 2003م، ص.51.

[28] حيدوش (أحمد): المكان ودلالاته في الشعر الجزئري إبان الثورة التحريرية 1962/1954م، مجلة الثقافة، ع.104، س.19، وزارة الثقافة الجزائر، 1994م، ص.120.

[29] غزالي ، مكسح: المرجع السابق، ص.113.

[30] المرجع نفسه، ص.115.

[31] المرجع نفسه ..119.

[32] دحو (العربي): ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص.74.

[33] المرجع نفسه، ص.90.

[34] محمد (محمد): التراث الشعبي الجزائري، دراسات وبحوث ميدانية، وزارة الثقافة الجزائرية، 2007م، ص، ص.172، 173.

[35] غزالي ،مكسح: المرجع السابق، ص.124.

[36] المرجع نفسه، ص.140.

[37] دحو (العربي): مقاربات في الشعر الشعبي العربي في الجزائر، المرجع السابق، ص- ص.37-43.

[38] غزالي ، مكسح : المرجع السابق، ص- ص.34-37.

[39] دحو (العربي): مقاربات في الشعر الشعبي العربي في الجزائر، المرجع السابق، ص- ص.48-53.

[40] غزالي ، مكسح : المرجع السابق، ص.135.

[41] المرجع نفسه ص 134

[42] عبده قاسم (قاسم)، بين التاريخ والفولكلور، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - مصر، 1998م، ص.129.

[43] غزالي ، مكسح : المرجع السابق، ص.134.

[44] يشير (عبد العالي): تحليل الخطاب السردي والشعري، المنشورات مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع (د.ت) ص.12.

[45] عبده قاسم ، المرجع السابق، ص.129.

[47] بريهمان (عيسى): الشعر الشعبي حصن الهوية، أعمال المهرجان الوطني الشعبي الثاني للشعر والأغنية البدوية، ولاية الأغواط،17-21 نوفمبر 1999م، ص.65.

[48] نفسه، ص.69.

49 توفيق (إميل): الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، ط1، دار الشروق، القاهرة - مصر، 1986م، ص.67.